الزوجة الحسناء

للكاتب النمسوي هيرمان بار

... ولاقيت صديقي بول دوران بعد غياب طويل فاندفعت إليه في شوق قائلا : « كيف حالك ياعزيزي ؟ لقد احتجبت عنا طويلا ، أفتزوجت حقا ؟ لم يكن ليضطرب في خيال واحد من رفاقك أنك تتزوج فتنزل عن بعض مافيك من عبث ومرح ولكن المرأة ... المرأة يابول ! »

وابتسم بول فرقة وأخذ بذراعي يجرني إليه؛ أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته المجون والعبث ؟ إن هذا خيال مما يستطيع الإنسان أن يثق به !

وتناول سيكارة في هدوء ووقار ، وحدجته بطرف عيني فآلمني أن أرى فيه الرزانة والسكون ! لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت طبعا بطبع يابول بعد أن تزوجت ... تزوجت من فتاة جميلة » فترك ذراعي في غضب وهو يقول : « دع عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بيني وبينك ! » وأزعجني حديثه فاندفعت أسأل : « ماذا ، ماذا ياصديق ؟ »

قال : « حقا ، إنها حسناء فاتنة ... ولعمري إن البلاء في الزوجة الحسناء ، فأنا أدفع الثمن غاليا ! نعم إنني أحبها ولكن أتعلم مايثقل زوج المرأة الحسناء ؟ إذا غاب عنك هذا فلا تتحدث عن شيء بعده . إن الزواج من حسناء يتطلب صبراً كصبر أيوب ثم يصفر صفيرا مزعجا وفي وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إلي أنني سموت إلى الغاية متى يريد فقلت : « أفرأيت يابول ، أن خطاياك تنحدر إليك من صلب ! هذا هو الجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر إلي في دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أي غيرة ؟ فيم تفكر ؟ وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ، فقلت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال : « لا . لا . إن الزوجة الحسناء هي خير ما يتمنى المرء ما لم يستعبده جمالها » قلت : « لقد قصر عقلي عن أن أستشف ماتريد » قال : « سأضرب لك الأمثال لأكشف لك عن بعض مامعي عليك »

وبدا لي أنه ينفس عن كربته حين ينشر على عيني أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه ، فتعلق بصري به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها وهو يقول :

إن النشوة التي سيطرت علي — يوم زواجنا — كادت تستلبني عقلي . لقد انطلقت إلى ميونيخ برفقة زوجتي ، وخيالي يصور لي أننا نستطيع أن نجول في أنحاء المدينة في لذة وسعادة ؛ نزور معا بعض أصدقائي ثم نطير إلى مروج بافاريا ننعم بالخلوة ، ونقطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة في ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب في ناظريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لا شيء ! إنني أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكنني أرى في الناس غلظة وجفاء ! » وحدثتني نفسي : « يالله ! لاريب أن في سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هي في حديثها : « حقا ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب في الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنسانا واحدا يرفع بصره فيحدق في الآخر . هذه هي الغلظة التي رأيتها فيهم »

أفرأيت يا صديقي ؟ لقد زلت زوجتي ، فهي تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهي لا تجد بغيتها في ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفي الصباح التالي انطلقت أجلس في ندي متكسليان أنتظر زوجتي لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها في الغندق ترتدي ملابسها وتتزين . ولبثت طويلا أنتظرها . ودقت الساعة عشرا وأنا جالس إلى نضد أردد بصري بين المارة وأحدق في دار الأوبرا وهي قبالتي ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والتدل متكئون إلى الجدار في كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شرذمة من الطلبة يتحسون الجعة ويلعبون ؛ وهدأ المكان إلا من بعض كلمات تنفرج عنها شفاه الطلبة بين الحين والحين ؛ وبدأ الانتظار في نفسي غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفا جميلا ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهوينى في خيلاء وسمر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت إلى الناطلة تسألها ثم دلفت إلي في أناة وتؤدة ، وحين صارت بإزاء الطلبة

تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة فى شغل

وسألتها عن بعض ما تحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعر سؤالى التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك فى الشارع وعلى جدار اللهى أشياء تبعث فى النفس الضيق والملل — خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضدا إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسيا هزت الآخر فانتثر ما عليه من صحف فتناولتها والطلبة فى لهوهم ما ينظرون . واستقر بنا المقام فسألتها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعنى إلى المرض ؛ غير أنها قالت فى تؤدة وهى تضع نظارتها على عينيها : « خبرنى ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملا سوى شرب الجعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسى السوء وأكفكف بين سطورها ثورة تضطرب فى قلبى ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها فى سهولة ، فاندفعت تتحدث إلى : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبذلون آخر فلس فى جيوبهم فى سبيل أبنائهم وهم يبددون المال فى المقاهى ! أين العلم وعصا العلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصرى فى سطور الصحيفة فى إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! ياعجبا ! إنهم كهالى المحطة ! »

وتأجج الغضب فى رأسى وأنا أهدئ من ثورتى خشية أن يتلمم شرف فى هذا الندى ، ثم قلت فى هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث فى نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بدا من أن ننطلق إلى شليرسى بعد ساعتين ، فهو مكان هادئ جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسى » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقى ... وبلغنا شليرسى عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقى لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعا إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تتراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتى — أجانا — فانطرحت فى فراشها فى سبات عميق ، أما أنا فقد انطلقت على دراجتى أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هى فى الحديقة ، وفى يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفيين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتنى روعة المكان فأحببت أن أقضى بعض وقتى هناك ؛ واندفعت إليها وهى جالسة فى ثوبها الأبيض الحريرى الجميل ، يتأرج العطر منها عبقا طيبا ؛ غير أنه لم يلتفت إليه أحد ، ووقفت بإزائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتى ؟ » فحدجتنى بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هى شليرسى ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذنى » قلت : « إنه هادئ ... والبحيرة ... »

فقاطعتنى « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادى الجميل ... » فقاطعتنى ثانية : « والوادى الجميل غير صحى » قلت : « والجبال ... » فقاطعتنى مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلى فى ازدراء وهى تقول : « والطعام ردئ الطهى والجعة البافارية تملأ الجسم شحما ، وأنا لا أريد أن أبدو عبلة كالفلاحات . إننى أبتغى حياة هادئة . لقد كان من الخير لى أن أسجن فى دير ولا أتزوج من رجل لا يحبنى » قلت : « لا بأس ، سنرحل إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا » ، واضطرب قلبى ، وانتفض فؤادى ، واستولى على الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر فى مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجانا ما تهدأ ولا تطمئن . لاريب فهى تريد أن ننطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار فى كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلا . تلك حقيقة مروعة ، فخير للانسان ألا يتزوج من حسناء !

وفى الصباح التالى بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادى ، إلى الغابة أمتع نظرى وأشبعها جميعاً بنظرات الوداع ، فنظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع فى خيالى . أما هى ... هى أجانا فما تزال فى مخدعها تنعم بالنوم الهادئ . إننى أتعشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولمع فى خاطرى رأى ، انفجرت له شفتاى عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو فى لهفة إلى صديقى دريتشر ،

وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهليـة فى بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضا شـاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأى النافذ والقريحة الوقادة ... وهو صديق فيه الإخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إننى أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلنى فيه . إنك تعرف كل إنسان فى هذه الناحية ، أفتستطيع أن تمدنى بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال فى دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إننى أريده يجلس ويحدق ... يحدق فى زوجتى ساعة من نهار . إن زوجتى قد اعتادت هذا النوع من الغزل فهى تفزع من كل مكان تفتقد فيه بنيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات فى اليوم ثمناً لجلوسه فى الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة فى زوجتى ، وأدفع له ثمن شرابه » قال : « لا ضير ، لا ضير ... ! » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أنى لا أستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائى ، ولكن ... آه ، نعم ، إن فى الفرقة عاملا شابا فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هـذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفى المساء نبتدئ العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقى . ولكن أفتطمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لا تعنى بنظرات من يتعشقها بقدر ما تعنى بنظراتها هى ؛ وسترى ... »

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت أجاتا وحدها فى الحديقة ... وجاء العـامل فى ثوب أنيق ... جاء ينفذ أمر سيده فى براعة وإتقان ... ورجعت أحدثهـا : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقنى أن نسافر على قطار الساعة العـاشرة صباحاً » قالت فى لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعنى ؟ أفلا تستطيع أن تستقر فى مكان ؟ إننى أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلا : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمال فيها » قلت : « والجبال من حولها » قالت « لا ضير ، فأنشد الهواء العليل فى أعاليها . سنبقى هنا حيناً من الدهر فما يرضينى أن نضطرب فى أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غاليا . ولا ريب أن أجاتا لن ترضى بهذا المكان بديلا ...

ك . ح

تفسير آية

بقية المنشور على صفحة ١٣٣٠

الناموس الخالد الذى لا يتبدل ولا يتحول . ومن ثم لم تعد إلا التفصيلات والتطبيقات ، التى يستقل بهـا العقل البشرى ، ولا تحتاج إلى رسالة إلهية أخرى

* * *

وبعد فلقد اقتتل أتباع « تلك الرسـل » ولم يغن توحد طبيعتهم ، وتوحد طبيعة الرسالة التى تجمعهم ، عن اختلاف أتباعهم من بعدهم : حتى ليقتتلون من خلاف !

« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد »

ولكن هذا الاختلاف لم يقع مخالفا للمشيئة الإلهية ؛ بل وقع وفق سنته المقررة ، ومشيئته المقدرة

إن اختلاف الطبائع والمشاعر والأفكار سنة من سنن الخالق لتنويع الخلق — مع وحدة الأصل والمنشأ — وما كان الله ليجعل عباده جميعا نسخا مكررة ، كأنما طبعت على ورق « الكربون » !

لابد إذن لتكون للحياة قيمتها ، وليكون الاختلاف والتقابل وسيلة للتكامل والتنوع ، أن يكون هنالك اختلاف فى الطباع والمشاعر والأفكار . ومتى وجد الاختلاف على هـذا النحو فإنه يستتبع نتائجه ؛ وإحدى نتائجه الاقتتال ، الذى وقع بين أتباع الرسل .. فهو إذن وفق المشيئة ، بمعنى أنه جار على السنة

« ولو شاء الله ما اقتتلوا » لو شـاء أن يجعل التماثل هو الناموس لا التنوع ، لما وقع الاختلاف ، ولما وقع الاقتتال

« ولكن الله يفعل ما يريد » .. ولقد أراد أن تجرى السنة بما جرت ؛ فوقع فى الكون ما يقتضيه جريان السنة فى طريقها المرسـوم ، وفق المشيئة الكبرى ، لتحقيق حكمة خاصة تجرى بها هذه المشيئة

سيد قطب

تعـــــــــود

و

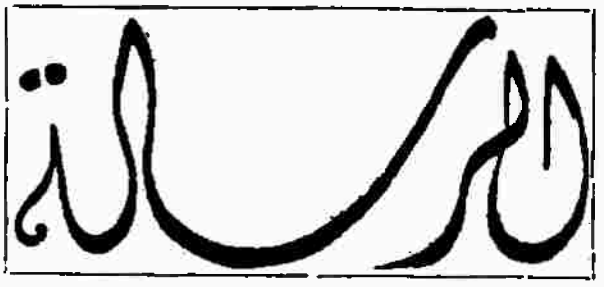

تتجـــــــــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهي مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفي ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهي مجلة الأدب العالي ، في الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذي بدأته مصر في الثقافة والحضارة

مطبعة الرسالة